

إبراهيم داود

لا أحدَ هُنا

المجلس الأعلى للثقافة

لا أحـد هنـا

إبراهيـم داود

لا أحد هنا
إبراهيم داود
الناشر : المجلس الأعلى للثقافة
الغلاف : إهداء الفنانة ماريا باستور
خطوط الغلاف والإخراج الداخلى :
إهداء الفنان حامد العويضى
القاهرة ١٩٩٨

لم تزل ليلى بعـينى طفلةً
لم تزد عن أمس إلا إصبعا

شوقى

الأيام التى تسبق الحرب

نتوقف أمام المقاهى

وكأننا نودعها

ونترك حبيباتنا بدون أسبابٍ

ونهجر الأماكنَ الحميمةَ

والأحلامَ .. (التى تعبنا فى صناعتها)

وفجأةً ..

نضحك بعنفٍ على أشياءَ ساذجةٍ

ونتوقف بدون أسباب

ليظهر المشهدُ – الذى تكرر خمسين

مرة فى الأيام التى تسبق الحربَ –

حزيناً وصامتاً

.. .. ..

تمتلئ المساجد تدريجياً بالمصلين

وتعمل محلات الذهب ليل نهار

ويصبح رجال الدين عاديين

يعتزل « الجواسيس » الناس

يصبح « الوطن » فى كل شىء :

فى الأغنيات التى صدئت مع البنادق ،

فى الصحف التى تعلن عن الفقد ،

فى الكلام السريع عن الخبز

فى الموت الذى احتكره الصغار ،

.. .. ..

يحس المسئولون بالذنب

فيشيدون مساجد جديدةً

فى منطقةٍ مزدحمةٍ بالمساجد

ويعاملون « الشعب » برقةٍ طاغية

ويتحدثون عن « السلام »
ويشربون نبيذاً مع المناضلين القدامى
ويشترون مزارع خلف الناس
يزرعونها بـ « الجينسنج »
.. .. ..
يستعد العسكريون للمجد
وتبحث « السلطة » عن شعراءَ جدد
يكتبون قصائد عن النيل وأحمس
و « وقفة عابدين »
وعن وحدة الشعب ضد الغزاة
ويتدرب الأطفال على الصراخ
ويتدرب الآباء على الصمت
وتكف الأمهات عن وضع « النفتالين » فى الملابس

ويخجل الرؤساءُ

من تاريخهم

ويكتشفون – وهم يتحدثون إلى صغار الموظفين –

أنهم أخطأوا

وأنهم قصروا

وأنهم نادمون

ويحس الفلاحون بالرتابة

وهم يزرعون القمح

وهم « يحرسون » القمح

وهم ينظرون إلى دورهم . .

فى المساء

بعد أن اكتشفوا المشهد

– الذى تكرر خمسين مرةً

فى الأيام التى تسبق الحرب –
حزيناً وصامتاً .

ديسمبر ١٩٩٦

المناظر الطبيعية

كاب دور

دائماً أفتقد شيئاً
وأتألم عندما أتذكر
وأسدد لكمةً – مباغتةً – للهواء
وأنا فى طريقى إلى هناك
لكى أتخلص من آثار أصابعها
وعنفها المحبب
وعطرها..
وعطشى الدائم

المطعم السويسرى

نزلتُ إلى الشارع فعلاً
كأن شيئاً لم يحدث
تحدثت إلى أصدقاء
قابلتهم فى التقاطع
عن أهمية ألا نلتقى فى تقاطع
« وأخذت » طريقى المعتادَ
لألحق الموعدَ الهامَ
مع .. « البعيدة »
التى تعرفت عليها خطأ
وأنا فى الطريق ذات مرة
وكدت أسقطُ

فى الحُفَرِ الصغيرةِ

التى رسمتها لى

ونحن إلى طاولةٍ

غير مريحة

نجلسُ .

العروض الخاصة

الباب الخلفى دائماً مغلقْ

فأضطر أن أجلس حتى النهاية

لأنتظر – مع الجميع – نجوم « الأفيش »

وهم يبتسمون بتواضع شديدٍ

وأشاهد رؤسائى وهم يلتقطون الصور معهم

....

....

حاولت مراراً الاعتذار ؟!

المناظر الطبيعية

أحببت « شارون ستون » .. جداً

فى تلك الليلة

لأنها مثلت « الشر »

بعذوبةٍ وعفويةْ

على عكس التى دعتنى .. تماماً .

الموعد المحدد

كنت مستعداً .. وأنا أصعد السُلَّمَ :
أحمل سنوات من الغربةِ
وبساتين فواكه

التحف القديمةُ فى المدخلِ
لا تشبه الماضى
وساعةُ الحائطِ ..
تسبق الوقت بستين دقيقة

وصلت فى السادسة تماماً
حيث كانوا فى انتظارى

....

....

بالضبط

كمن فقد بيته على طاولة القمار

وراح يقنع زوجته بالسفر

....

كنت أجلس صامتاً

استقرار

الريبة التى عاملتنى بها
فى المرات القليلة . . العابرة
جعلتنى أهتم بها
وأمنحها ما تريد (عندما أتذكرها)
هى الريبة
التى أنظر الآن بها
بعد أن أصبحت معى

الأنانية

يتنقل الظل بين العمارات

والسيارات - بطيئةً - تمشى

والذين ذهبوا إلى العمل

فى العمل

وأنا أتنقل مع الظل بين العمارات

أبحث عن مساحةٍ

أمشى بسرعةٍ فيها

دون أن أصطدم بأحد ..

لأتجاوز الذين خرجوا معى

ولا يفكرون إلا فى أنفسهم

فبراير - مارس ١٩٩٧

الاستيقاظ مبكراً

1

تدخل عليك وأنت نائمٌ

فتغط فى النوم أكثرَ

تاركاً لها منطقةً غائمةً

لتلهو ..

وتفرد ذراعيها

« وترقص »

وتتركك وأنت نائم

لتستيقظ مبتسماً

وأنت تستوقف تاكسياً

لها .

2

تصعد الحَلَبةَ

لتصارع الجمهور كُلَّهُ

وتنتصر على الخيالات الأولى

.. ولكنك فى آخر الأمر

– وهم يحملونك إلى المستشفى –

تتذكر وجهها المشاغب

فتنام أسبوعاً كاملاً !

3

يبدو أنك فى حاجةٍ

إلى الاستيقاظ مبكراً

فى الفترة القادمة

والابتعاد – نهائياً – عن الحلبة

ليظل الخيط مشدوداً

أنت حزين بالفطرة

وهى « لاعبة »

تجيد ترتيب الأوراق والمواعيد

4

ربما بعد عشر سنوات

يتغير الأمر

فتقابلها فى مكان عام

وتعاتبها – بأخوةٍ –

على أحداث مضت

منذ عشر سنوات

جعلت منك شخصاً طيباً

فى « فيلم » يحتفى بالشر

ربما أهديتها كتابك الأخير

وقلت لها :

« عزيزتى " ن "

ليتنا تعارفنا قبل عشر سنوات » !

الحـــدود

تعبئة

أخرجتهم واحداً واحداً
ضوء خفيفٌ كان بيننا
وكان النحاة – مشغولين –
بجمع « صحراء »

أولهم كان حزيناً
جُرح أول مرة
أيام كانت للجراح شمخة

الثانى كان وحيداً
رمى نفسه بين الجميع

وضحّى كثيراً

والثالث ظل مبتسماً لأسباب غامضة

أما أنا

ـ الوحيد الذى أخرجتهم واحداً واحداً ـ

مضطر لأن أنام بهم .

٨ خالد :

الرهبةُ . .

التى كان يصعد بها

تدفعه إلى النزول – واثقاً

ترك خلفه النخيلَ – القصيرَ

وفقراءَ

يصنعون – بأجسادهم – شريطاً رمادياً

يُحزِّم الجبلَ

ويدفعه بعيداً

لا يعرف لماذا يصعد ؟!

لا أعداءَ

ولا ثروات

فقط :

– متر مكعب من الماء كل شهر ،

– تعيين جاف . .

– طلقات كثيرة

– بوابة قصيرة لصحراءَ كاملةٍ

– ذئابٌ . .

– « رقْمٌ » فى السجلات ينتظر منذ أسبوع

– إيمان قوى بالله

– و . . إحساس غامض بالحرية

فى الصباح

يفتح عينيه على رمال بلا معنى

وأذنيه على البرنامج العام

يخرج عارياً

عارياً تماماً

يتدرب على الركض والغناء والتصويب

يفترض أعداء أمام البوابة

ويفرغ ثلاثين طلقة عليهم

« ١٠ ، ٩ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٧ ، ٥ ، ٤ ، ... »

« آلو .. آلو .. آلو .. »

« ٨ خالد " يدحرج " أحلى صباح »

« أزيز حاتم يحوم »

« اتجاه ١٦ منخفض »

« صباح الخير لأحمد عبد الغنى فى ٤ خالد »

– مضى يوم يا صديقى !

زمزم ــ ١

سيفعل كل شيء ليصير مشغولاً
صديقه « كتًّ » في الصباح
وعاهده على أن يعود في موعده
لن يكون وحيداً خلال أسبوع
ولا معنى لـ« المنظار »
« التبة » تلمس السماء بدونه
و « البوكلةُ » في المدخل
و « البوصلة » بلا أرقام
كل شيء سيفعله
سيصنع وليمةً
لضيوفٍ فقدوا
ويصنع طائرة لا صوت لها

الخور

سيبدأ من ملامسة السماء للتبة

ويلقفك وأنت نازل مثل حجر

ترفع صدرك

لتخدعك قدماك مرة أخرى

السماء عموديةٌ عليك

والجبلان اللذان تلمسهما كفاك

– وأنت تمشى –

فكأن يقطعان السماءَ بصرامة

ويحددان الزرقة فوقك

الرمال ناعمة وساخنة وبيضاء

لست فى حاجة إلى هدفٍ
صُنع من صدأ الأجيال السابقة
أنت فى حاجة إلى الله فقط .

القادة

إلى الباب يقفون
بلا علامات تشير إلى أى شىء
فقط
ينظرون إلىّ
وأنا أشرب
وأنا أكتب
وأنا أغير ملابسى
وأنا أتنفس

أحاول أن أجعلهم – طوال الوقت –
فى صفى

أحرِّك حاجبى أحياناً لهم

وأقول نكاتا

وألعنهم

ولكنهم لا يفعلون شيئاً

فقط ..

ينظرون إلىّ !

أكتوبر ١٩٩٥

الخميس الكبير

عندما استدار . .

كان الذى ناداه اختفى

وأخذ معه صف البيوت

التى مر عليها بعد الفجر مباشرةً

حيث قرأ الفاتحة على أرواحهم جميعاً

وتفقد المثوى الجديد لعائلته . .

البيوتُ التى كانت إلى يمينه اختفت

وسكنت شمس كاملةٌ مكانها

ومرّ بحرٌ عريضٌ بين شجرتين

يعرف الكبيرةَ

كان يعلق ملابسه عليها

ويقفز

كى يلمس الجانب الآخرَ

ليعود إلى أمه مهدوداً

أمه التى دفنت مع أخوالها

فى الصف الأول بعد المظلة

لم يلتفت كثيراً للذين قُتلوا

أمام صف البيوت التى اختفت

والتى لاحظ بعد الفجر مباشرةً

أنها واطئة

وأن الشبابيك التى كان يطولها

بسُلَّمٍ من الأطفال

أصبحت عند ركبته

الذى ناداه

هو ابن أيامه الطيب

الذى قابله بالأحضان

آخر مرة عند الجسر

– قبل موته المفاجىء –

وشم فيه رائحة كان يفتقدها

منذ موت أبيه

الذى انتقل إلى المثوى الجديد

.. للعائلة !!

يناير ١٩٩٦

العدّاء

الطريقُ واضحٌ ..

وقفزةٌ واحدةٌ تكفى

ليتجاوز وخزاً

خرج منذ الصباح معه

– منذ سنوات وهو .. هكذا

يتقدم قبل « شارة » البدء

فيفقد قوته وحماسه

عندما يضطر – بحكم اللعب – أن يعود كما كان

.. .. ..

كان باستطاعته أن ينتظر

ويأخذ نفساً عميقاً

أو يعدّ من واحد إلى عشرة

ولكنه منذ سنوات .. هكذا !

لا يستطيع

ولا تحتمل رئتاه نفساً عميقاً

.. .. ..

قرر وهو يفتح عينيه هذا الصباح

أن يقطع الشريط بصدره

مهما كلفه الأمر

لأنه – كما قال – يتدرب من أجل هذا

واستطاع – بمفرده – أن يقطعه

عشرين مرة

وانتصر لنفسه على الطرق الجانبية !

أحس قوةً غريبةً تدفعه إلى هناك
انتظر المنافسين – طويلاً –
ولم يأت أحد
وبعد أن جلس إلى خط البداية
اكتشف أن الهدف – الشريط
الذى ينبغى أن يقطعه بصدره –
اختفى من مكانه

2

لم يهتم أبداً بمتابعة النجوم
لأن شباكه دائماً مغلق
ولا ينظر إلى السماء أبداً
لأن الله طوال الوقت معه
ولم يفهم كيف سيلتقى حبيبته غداً

ولكنه يعرف جيداً

أنه

يجرى

فقط

3

عندما يتحسس عضلات صدره

وهو فى الطريق إلى النوم

يتأكد – أكثر – أن حياة ما

فى مكان ما

أرحبَ .

الأغراض الشعرية

الوقوف على الأطلال

لن أصافح أحداً
من الذين اصطفّوا هناك
لأنهم – لأسباب خارجة عن إرادتهم –
كبروا
ولم يحزنوا على الأشياء التى
ضاعت فجأةً
ولم يمسكوا اللحظات
التى ألمحها تختفي
لتظهر عمارات جديدة تليق بهم
... ...
أستطيع إعادة كل شيء إلى مكانه :

– العشاقَ للصدارة

– الرجال للحرب

– النساء للقلب

– الغناء . .

– البهجة . .

– الصداقة . .

– . . . .

إذا رجعت عشرين عاماً

(الولد) الذى تمنى أن يكبر

فأحب الكبار

و « حوَّط » عليهم

خوفاً من الذين كبروا

لأسباب خارجة عن إرادتهم

الحماسة

ساقترح اقتراحاً آخر
أن أقف في مواجهتهم
وأشرح لهم
كيف أهدرت دمي على « الجرحى »
ليلة كاملة
في احتفال الأصدقاء بـ « النصر »
عندما افترش المدعوون المدعوين
على أنغام الموسيقى

كنت أظن أن خبراتي
تؤهلني لصفعهم جميعاً

لكى أستمتع بالحياة معهم

ولكنها « الحرب » ..

التى خلَّفت مشوهين

وجعلتنى اتذكر أن فصيلة دمى

« حرف B »

وأنا أنسحب من المكان

الذى يرتاده « الأصدقاء »

الذين وضعوا فى المدخل لافتة

تقول بأنهم :

أصدقاء

يكرهون « الأعداء »

والقسوة

والمشاعر المزيفة !

الفخر

تركته يفوز مرة فى حياته
لأننى رحيم على الضعفاء بشكل عام
الذين يبحثون عن إحساس ما ..
بالانتصار
أقول لنفسى :
ربما أكسب ثواباً
لأننى تركته يفوز
وأبتسم ..
عندما أتخيله يقول لزوجته
« نجحت فى إزاحته عن طريقى » !
وأتخيل فرحها به

وأضحك عندما أشاهده

ينفخ صدره مزهواً

ولكنى أتألم بعد ذلك

عندما أشاهده حزيناً

يشعلُ سيجارةً

ويتذكر ..

أننى تركته

وأننى سعيد بذلك

الوحدة

تنتهى الليلة هكذا :
توضع الكراسى فوق الطاولات
وترتفع الأصوات نفسها
تطالبه بالانتهاء
وتخفت الإضاءة
وتبدأ الحوارات نفسُها :
عن جدوى الذهاب مبكراً ،
وعن القمصان التى ظهرت
بعد خلف « اليونيفورم »
وعن الماء الذى يقترب من الأقدام

ويسبقه جسده عندما يرغب
فى الاعتذار
عن أخطاء « عادة لا يتم الاعتذار عنها »
ويقول – وهو يدفع الباب خارجاً – :
الجرائد فى الطريق
آخذها فى الطريق
حتى
لا أفاجأ بـ« شىء »
فى الصباح .

الهجاء

لأنه الصغير الذى قابلته صغيرا

وكبرت بينى وبينه حكايات قليلة

والذى عندما جاء الوقتُ

ليقف مثل الكبار

تحوّل إلى تلميذٍ

برائحة كريهة

فاضطررت لنسيانه تماماً

الرثاء

فى المرات الأولى

يقف الرؤساء وهم يصافحونك

وينظر السعاة إليك

وكأنك ضدهم

وتكون السجائر بلا طعمٍ

.. وكذلك الجمل الشائعةُ

فى مثل هذه المواقف

وعندما أتفرغ لمشاهدةِ

نباتات الظل

أو الصور الجانبية

(التى يجلس الرؤساء تحتها)

أكون هادئاً

وربما أكثر من اللازم

لدرجة أننى نسيت

أن الذى يذهب – للسبب نفسه –

يحمل رغبةً دائمةً

تنتهى

عندما تتسمر الابتسامةُ على الحائط

ويحس السعاة بالرضا

ليعود بعد ذلك

إلى الشارع المزدحم

بالرؤساء والسعاةْ

الغزل

ادخرتُ لك ما يكفى النساءَ :

أحلاماً تليق بجسدك الفذ

وحكاياتٍ ..

من الصعب أن يسمعها غيرك :

عن الليالى والرؤى

والوحشة التى اختفت بظهورك –

عن « الأهداف » التى أهدرتُها

وعن الأهداف الخاصة

عن أصدقاء طعنونى

وعن أصدقاء أصدقاء

عن حبيبات مهدن لظهورك

عن إحساسى القديم بالبرد

عن الجوارب والليمون

عن الدراويش والهدوءِ والذباب

عن قوس الكمان فوق العَصَب

عن الصيف والغناء ..

عن القانون ..

عن الآلام التى تعاودنى

كلما ذكرُتكْ

... ...

... ...

ادخرت لك السنوات القادمة .

إبريل ومايو ٩٧

القانون

قبل أن يخطف « القانون » الأضواءَ

ويرجع ضابط الإيقاع خلف الكواليس

يكون « الناى » تحت سكين صاحبه

– ما الذى يجعل « الكمان » خائفاً هكذا ؟

القانون يحتمل الرهافة أيضاً

* هو يأخذ وقته فقط !

و « الإيقاع » الذى جاء مع الفطرة

أشار إلى أول الطريق .. ومضى

و « العود » – الذى يعبر على استحياء –

لحظةٌ عالية

أردنا جميعاً تسلقها

وفشلنا ..

والقانون مرتبط بالدواخلِ
يدخلك وأنت منشغل عنه
ويغزل فيك قصوراً
« مُفخخةً » بالجوارى
ويمضى معك ..

الوحيد الذى يتقدم لتحية الجمهور
بين الحين والآخر
هو الناى
ولكنه لا يقيم شعائرَ
مشغول – فقط – بالندوب البعيدةِ ..
يمر خفيفا على قشرةٍ
« نتلذذ » إذا مر عليها صوته

ولكنه

– وفى معظم الأحيان –

يسرق سكين صاحبه

ويجز به

القانون وحده

هو الذى يحترم التقاليد

التقاليد التى أكرهها

وأحتفظ بالكثير منها

فبراير ١٩٩٦

التخلص من النهايات

الزجاجُ الخلفيُّ

نقيٌّ كأنه غير موجود

والعربات التى تقدمت ببطء

فى الطريق الطويل

تركت له ظهرها

1

هناك أمام شاحنة الخضار بالضبط

قَبَّلها

كانت مندفعةً وطازجةً

ولكنه خاف منها فى الظلام

وكتب لها على المرآة : وداعاً

طاردته بفتور

....

هى التى تمشى – الآن – بحماسٍ

مع شاب طويلٍ .. هناك !

فى اتجاه الفندق

تتابعها الكاميرا

والعيون الظمآنةُ فى محطة « السيرفيس »

والسيارات التى تسير ببطء

خذلته هذه المرة

فلم يرَ وجهها جيداً !!

2

أما هذا المبنى

فقد تغيَّر

استبدل المطعمُ البسيطُ

بمكتب للصرافة

كنت أجلس معها إلى طاولة لأربعة أفراد

لأستعرض ما تعلمته من الإنجليزية

فى الليلة السابقة

وكنت أفشل دائماً

ولكننى .. عندما انتقلت معها

– فى الشارع الذى لا يُرى من هنا –

تحدثت بطلاقة فى كل شىء

واكتشفت الطفولة فى ملاعبها

ولكنها سافرت

لتنتظر طفلاً

لا يحب السفر

ولكنه ينظر – الآن – فى النهايات

على أمل أن يعود المطعم البسيط

3

السيارة « الرينو » التى تقترب

والتى تسير كرجل بكتفين من خشب

كنت أظنها ضيقة

ولكنها – بجوار الكازينو الذى أطفئت نصف أنواره –

جعلت منها غرفة نوم كاملةً

ولكن فجاجتها

قطعتْ الكهرباء كلها

وقطعتُ المسافة إلى البيت خائفاً

إبريل ٩٦

نهايات متوقعة

إلى العزيزة : هـ

أنتِ مخطئة تماماً

مثلى

مثل ما يجرى لنا

من خمولٍ فى الطريق إلى الحياة

فى ارتكاب الحب ليلَ نهار

فى اكتشاف الله فى الأحزان

فى احترام الجنس

فى السماحة والخروج عن الأدب

فى العمل

فى التعلق بالزهور

فى الترفع

فى اعتبار القُرب قرباً

فى اصطناع الطُهر

فى سرد الفتوحات البسيطة

... .

... ...

أنت طيبة تماماً

غيرى ؟!

البريد

لا أحد هنا
ادخلى ، وأغلقى البابَ
سأكتبُ بعد قليل عن الحب
عن واحدةٍ غيرك
سأتعرف عليها فى المترو
أو على باب السينما
فى حفلة السادسة
سأهيم بها
وأكتب لها مثل التلاميذ : أحبك
مجردةً .. وواضحةً
سأكتبها بخطٍ بدائى ..

.. لن أبتذلها مثل الشعراء القدامى
ولن أخجل منها مثل الشعراء الجدد
سأكتبها بالأحمر والأخضر
وأرسلها فى البريد
لواحدةٍ غيرك
سأتعرف عليها فى المترو
أو على باب السينما
... فى حفلة السادسة

الصيف

سعداء الحظِ . .

الذين اختلفوا معى

وشقوا مصائرهم بعيداً عنى

أصدقائى القدامى

المشغولين بالحياة والموتى

أصبحوا هكذا !

سافروا وعادوا

وابيض شعرهم

أنجبوا أطفالاً مدللين

وعادات جديدة
ولكنهم فقدوا – مثلى –
شيئاً
كان يجمعنا .

للمرة العشرين

كنت أعلم أننى لن ألحق به

ولكن

شيئاً ما كان يدفعنى

لأسرعَ ..

لحتُ العربات الأخيرة منه

ترددت فى الجرى

أستطيع الآن أن أستريحَ

وأسند ظهرى

سيأتى آخر

ربما بعد ساعة أو ساعتين

.. سيأتى

مادام موعد الواحدة

مر من هنا

ميدان الساعة

فى شارع جانبى كان مدخل السينما
وكان الممثلون خارج الأفيش
يبيعون متعلقاتهم
مكتبة صغيرةٌ كانت هناك
وكانت حبيبته صغيرة
حملت معه « الأغانى »
وأحرقت « رأس المال » معه
وكان مقهى واسعا يُطلُّ
صاحبه كان بدينا وخفيفا
يحب عبد الناصر و « طِلب »
وكنا أمام المرآة
نجلسُ
– تحت صورته التى لا تشبهه –
نضحك !!

الحاج

منذ ثلاثين عاماً ..

لعب دور القاضى فى « تاجر البندقية »

أيام كان طالباً فى الجامعة

تذكر ذلك ونحن نتحدث عن البرد

وألقى مقطعاً طويلاً من النص

ربما بالحماس نفسهِ

ولكنه – فجأة – اكتشف خطأً

فادحا فى الإلقاء

أعاده إلى مقعدة

وقال بصوت حزين :

كانت أيام .

يناير ١٩٩٦

ساعة أو يزيد

الكتابة

اكتشف طريقاً جانبياً
يأخذه إلى المحطة مباشرة
اندهش لأنه لم يفكر
فى طريق جانبى قبل ذلك ؟!
ولكنه فرح جداً – رغم تركه
العمل نهائياً – باكتشافه .

بعد العمل

استوقفه عقرب الثوانى
الذى توقف . . مُستَفزا
وجذب عينيه وسمّرها .

. . . .

ساعة كاملة
ينتظر قفزةً
مفاجئة
ساعة أو يزيد
إلى أن قيل له – فى سياق الكلام –
إنها ساعة حائط جديدةٍ
لا تعمل .

التصوف

لن يقف عند هذا الحد
سيتجنب آلاماً أخرى
ويمد يده ليصافح آخرين
يقفون فى الطابور الطويل
الذى يمر عليه منذ سنوات
ولا أحد فيه يعرفه

يناير ٩٧

يحدث كثيراً

1

يحدث كثيراً

أن تجد نفسك خائفاً من الاقتراب منه

الشباك الذى ينبغى أن يغلق . .

فتزحف على الأرض خمسة أمتار

متذكراً طوال الرحلة مقولة أمك :

« رأسك أثقل من جسدك »

فتحبو فى المتر الأخير

شابكاً رجليك بشىء ثقيل

. . فى أى طابق كنت ؟

فى أى شارع ؟

فقط كانت الإضاءة خانقةً

وموتك أكيد إذا اقتربت واقفاً

تماماً كما يحدث قبل النوم أحياناً

عندما تتخيل أن نبضك غير طبيعيٌ

فتحاول أن تجسه بنفسك

فتزداد توتراً

لأنك لا تعرف متى يكون النبضُ طبيعياً

فتتذكر لقطات من طفولتك

وموتى كنت تحبهم

وتتخيل جنازتك

ووجوه أصدقائك وهم يودعونكَ

وتفترض العالمَ بدونك

ياله من عالم تعيس ؟!!

2

... ...

أن تسكن فى حارةٍ ضيقةٍ

فى مكان ما

فى غرفة واسعةٍ

وتكون المداخل واضحة

وقبل مغادرتك مباشرةً

تصير صديقاً للحارة كلها

للطبيب الذى يتحدث عن نفسه

طوال الوقت

للفتاة التى لا تحب نزار قبانى

للقهوجى المقامر

للجدران الطرية . .

وبعد سنوات

تحاول أن تذهب إلى هناك

المداخل واضحة

ولكن الحارةَ . .

لا وجود لها .

3

. . . .

أن يكون بين أصدقائك

شخص مبهج يدعى محمدا
تلتقيان على فترات متباعدة
بعيداً . . .
حيث البداهة سيدةً
تتراقص خلف الدخان .
ربما لا تتحدثان فى شىء
وتكسران سبع إشارات دفعةً واحدةً
أثناء رجوعكما فى « مرسيدس » زرقاء
مع الضحكات التى توجع البطن
وربما تتحدثان فى كل شىء
وأنتما إلى غناء قديم تنصتان
تلتقيان مصادفةً
دائماً مصادفةً

حتى عندما تحددان – مثل الناس – مواعيدَ
تتهربان منها
لأسباب تخص كل واحدٍ على حدة

4

... ...
أن تحب واحدةً
تخاف الاقتراب منها
تظهر مع رجال لا يحبونك
فتكون حريصاً على أن تكون فجاً معهم
على عكس طبيعتك تماماً

وربما تسأل من بعيد عنها
وتحرص على أن تلتقيها مصادفةً
وتتجاهلها ..
منتظراً فرصةً للانفراد بها
عند أصدقاء يحبونك
لتقول لها كل شيء .

سبتمبر ٩٥

البحّارة

أخذنا معنا الحقائب والتصاوير

.. والذكريات التى .. ربما

احتجنا لها

وتركنا أجدادنا فى الحكايات ..

الضحكات إذا ظهرت

عُرف أننا هناك

تذهب الشمس وتأتى

ونحن فى الطريق ..

حقائبنا مع الوقت تخفُ

وخطواتنا - كلما اقتربنا - تتسع

الحماسة جعلتنا بلا عناوين

نقابل حبيباتنا فى المحطات

ونتحدث طوال الوقت

عن البطء الذى « غرَّرَ » بالحياة

وجعلنا مثل عقرب الثوانى .. هناك !

... ...

الجنود بطيئون – عادةً – فى السفر

حتى لو أظهروا غير ذلك

والمسافرون العاديون مملون

ومن الصعب أن نلتمس الأعذار لهم

.. ينظرون إلينا من خلف جرائدهم

وكأننا نتحرك فى بيوتهم ؟!

المقاهى مدننا الساحليةُ
التى نُفَرِّغ فيها توترنا
ونلتقى الناسَ ..
وقبل أن نرحل
نتأكد أننا نظفناها
لنستقبل اليوم التالى
كأنها نامت عشرين ساعة

الحماسةُ جعلتنا حراساً
على البيوت القديمة
التى يكبر المسافرون فيها
نضىء فوانيسها

قبل أن نُغيِّر ريقنا

ونمنحها ما تريد

... ...

المدن الساحليةُ

أصبحت تكرهنا

وتكره ملابسنا البيضاءَ

وتحتفى – الآن – بالذين

ينظرون إلينا من خلف جرائدهم

ويهزون رؤوسهم

أولئك الذين « تغرَّبنا »

من أجل هدايا لأطفالهم

وعدنا لنلعب – خائفين –

جوارهم

مارس ١٩٩٧

الأيام التى تسبق الحرب ٥
المناظر الطبيعية ١١
الاستيقاظ مبكراً ٢١
الحدود ٢٧
الخميس الكبير ٣٩
العدّاء ٤٣
الأغراض الشعرية ٤٩
القانون ٦٣
التخلص من النهايات ٦٧
نهايات متوقعة ٧٣
ساعة أو يزيد ٨٣
يحدث كثيراً ٨٧
البحارة ٩٥

صدر للشاعر :

ـ تفاصيل ط ١ دار النديم ١٩٨٨

ط ٢ هيئة قصور الثقافة ١٩٩٧

ـ مطر خفيف فى الخارج

شرقيات ١٩٩٣

ـ الشتاء القادم

الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٩٤٠٩ / ١٩٩٨